فقدان الذاكرة

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

« ما أغرب هذا المكان يا جيمى ؟ »

ونظرت الفتاة إلى جوانب المطعم نظرة استخفاف فقال لها صاحبها : « إياك أن يسمعك فرانسو وأنت تقولين ذلك فيطلب إليك الخروج من المطعم »

وكان فرانسو هو رئيس الخدم وقد وقف مزهواً بين الجالسين كأنه يعتقد أنه ليس فى لوندرا مطعم آخر غير مطعمه ، ومشى نحو هذين الساحبين وقال بلهجة انكليزية مشوبة بلهجة فرنسية : « من زمن لم تأت أيها السيد ، وأنت يا آنسة هذه أول مرة تزورين فيها المطعم « نى اسياه » ؟

فقالت الفتاة وهى تبتسم ابتسامة رقيقة : « ولكن أرجو ألا تكون آخر مرة »

قال الندل : « إن الذين يزورون هذا المطعم مرة يعودون دائماً إليه لأنهم يعرفون مزاياه »

ضحكت جيمى وطلب الشاب الذى معها أصناف الطعام فذهب فرانسوا ، وقال الشاب لصاحبته : « أظنك تضايقت من هذا المطعم ولكنى أحبه وأفضله على كثير من المطاعم »

قالت جيمى : « ولماذا تظنى أتضايق منه ؟ » ثم نزعت قفازيها فبدا تحتهما كفان جميلتان أخذ يحدق فيهما وأجاب : « ذلك لأنى لا أثق بأنى أستطيع أن أفعل شيئاً يسرك »

ثم قال بصوت منخفض : « ولا أثق بأنك تحبيننى ، ولذلك أفضل الظهور معك فى مثل هذا المكان على الظهور معك فى الأماكن المزدحمة »

فتنهدت الفتاة تنهداً يدل على الحزن وقالت : « إننى أتمنى من أعماق قلبى أن أحبك فأنت عزيز عندى ، ولكن أعطنى مهلة فربما ... »

فقاطعها بقوله : « إننى لا أستعجلك ، وإننى مستعد لانتظارك سنوات »

ثم ابتسم ابتسامة ذات معنى وقال : « أنا لست راغباً فى الانتظار سنوات ولكن إذا لم يكن بد من ذلك فسأنتظر »

قالت الفتاة : « لقد ناقشت نفسى كثيراً فى هذا الأمر ولا أرى من حق أحد أن يطالب الآخر بالانتظار ، على أننى أجد نفسى أفعل ذلك وهكذا أكثر النساء »

وعادت الفتاة إلى ابتسامتها الحزينة فأجابها فى رقة : « ولكننى راغب فى الانتظار ، وأنا مكتف بما ترين إعطاءه لى ، وكل ما أتمناه أن تنسى بطرس والزمن كفيل ... »

فهزت الفتاة رأسها وعض الفتى شفته ثم قال : « وهل ترين أنه من انصاف نفسك أن تستمرى فى طريق أنت تعرفين أنه لا أمل فيه ؟ إنه لم يعد شك فى أنه قد مات ، وأنت قد نزعت خاتم الخطبة،

الأولى بالإنسان أن يواجه الحقائق ؟ »

سكتت الفتاة نحكة خفيفة ثم قالت بصوت يشبه البكاء : « نعم ذلك هو الأولى بالطبع ، ولكن لا تستطيع أن تقنع بالصداقة فى البداية يا جورج؟»

فقال : « نعم أستطيع أن أقنع بها »

قالت : « إننى أشعر بأنى فقدت جزءاً من نفسى وأظننى عاجزة عن أن أحب مرة أخرى أى رجل وأنا أميل إليك يا جورج ، ولكننى لا أعرف هل أحبك كما كنت أحب بطرس ؟ »

فقال : « أنا أعرف أن ذلك هو الذى سيكون ولهذا أخاطر »

قالت جيمى : « أنت تستحق كل شىء يا جورج وإن أقاوم نفسى فى حبك إذا استطعت »

فقال : « إن أقل ما تهبينه لى أحب من أكثر ما تهبه امرأة أخرى أيتها العزيزة . ولست أريد استعجالك ولكن ها هو الفندق فوق هذا المطعم فهل تقولين نعم ؟ إنك لن تنسى هذه الليلة وأقسم إنك لن تندمى عليها »

فسكتت الفتاة لحظة ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت : « نعم ». فقال: « هل أنت راغبة يا جيمى؟» فهزت الفتاة رأسها وقالت : « إننى أعنى ما أقول »

* * *

بعد ساعتين عادت جيمى إلى غرفتها وأغلقت الباب ، وكانت لا تزال ترن فى أذنها قبلاته وهمساته ووقفت لحظة بجانب الموقد وهى تبتسم ابتسامة حزن ثم ذهبت إلى الحائط فوقفت أمام صورة ضابط فى فرقة الحرس ثم جثت أمام هذه الصورة خمس دقائق خالت فى أثنائها إن الصورة تفتح شفتيها وتتكلم ، فقالت : « إنه صديقك يا بطرس فأرجو أن تسامحنى أستحلفك بالحب أن تسامحنى يا بطرس »

وخالت أن الصورة تبتسم ابتسامة رفق ثم مدت يدها إلى المنضدة فتناولت خاتم الخطبة الذى أهداه إليها بطرس فقبلته وهى تبكى

وقضى جورج شهرين وهو سعيد ولم يبق غير أسبوعين على زواجه من جيمى حينما حدث هذا الحادث الفجائى الذى لا يكاد يحتمل التصديق فوجد أمامه بطرس

وكان اسم بطرس قد نشر منذ ثلاثة أعوام فى قوائم المفقودين فى الحرب . واعتقد الجميع أنه مات لانقطاع أخباره طول هذه المدة

وأحس جورج بدوار شديد ثم مشى إلى بطرس وقال بصوت يتهدج : « أين كنت يا عزيزى بطرس وما الذى تفعله هنا ؟ »

وقبل أن يجيب بطرس على هذا السؤال لاحظ جورج أن بجانب بطرس امرأة من نساء النور الفجريات فدهش وأعاد سؤاله : « ما الذى تفعله هنا يا بطرس وما الذى جاء بك ؟ »

وكانت الفجرية وبطرس يحملان بعض الألاعيب التى تلعب بها قبائل النور فى المدن الكبرى . وقال بطرس : « خفض من صوتك حتى لا يسمعك البوليس »

وقالت الفتاة : « إنه لا يريد أن يُعلم رئيسه السابق فى الجيش بأنه عاد إلى إنكلترا »

قال جورج مخاطباً بطرس : « ولكن لماذا لم تخبر أصدقاءك بعودتك ؟ »

فقالت الفجرية : « إنه لا أصدقاء له غيرى »

قال جورج فى نفسه : « إذاً لم يكن الأمر غير مفهوم ألبتة فلا بد أن تكون قصة بطرس إنه نجا

من الحرب بأعجوبة وإنه فقد ذاكرته فنسى كل شيء يتعلق بالماضي

وقال مخاطباً بطرس : « ومن أي عهد تلعب هذه الألعاب الممنوعة ؟ » فقالت الفتاة بحدة : « هذا ليس من شأنك ولا علاقة لك به فإني أتولى شئونه »

لم يتردد جورج لحظة واحدة وكان صوت خفي يهمس في نفسه قائلاً : « لا تكن أحمق وتجاهله فإن جيمي لن تعلم شيئاً عن أمره »

ثم قال : « لقد كان الأمر غلطة مني وقد حسبته صديقاً لي كنت أظن أنه مات » فقال بطرس : « إنني لا أتذكرك ، إنني فقدت ذاكرتي وهذه ليزا تنظر في شئوني »

قال جورج في رقة : « أنا أعرف ذلك وألف شكر لك يا ليزا . ولكني أدعوكما إلى زيارة منزلي وهذا عنوانه »

ثم كتب عنوان منزله في ورقة وسلمها إلى الفتاة وهو يقول : « إن تركه على هذه الحالة مؤلم يا ليزا وأريد أن أعرضه على أحد الأطباء »

قال بطرس : « شكراً لك ولكني لا أريد أن أرى طبيباً » . فقالت ليزا : « بل خير لك يا بطرس أن يراك طبيب ويظهر أن هذا الرجل رقيق القلب »

ثم التفتت إلى جورج وقالت : « ألا تأخذه مني إذا تم شفاؤه ؟ »

قال جورج بلهجة جدية : « إنني أعدك بألا أحاول أخذه منك . ولكن عدني أنك ستأتين إلى منزلي . إنني أطلب ذلك لمصلحته فقط »

نظرت ليزا إلى جورج نظرة بين الرجاء وبين الخوف وبعد تردد لحظة قالت : « إنني سآتي به . ولكنه لي ولا أريد أن تنسى ذلك »

وتركهما جورج وهو يمشي متباطئاً وقد تخيلت في مخيلته صورة ليزا وهي تنظر إلى بطرس نظرة الأم الرحيمة إلى ابنها المريض

ولم يزل يسير حتى وصل إلى بيكاديلي ، وليس يشغل ذهنه إلا خاطر واحد هو أن بطرس لا يزال على قيد الحياة . وكان يقول إنه من المستحيل على جيمي أن تعرف الحقيقة ما لم يخبرها بها ، وأن بطرس في حالته هذه سعيد مع ليزا وليزا سعيدة معه . وأنه من المحتمل ألا تعود ذاكرته إليه . وما فائدتها ؟ ولماذا أكثر من الكلام مع ليزا ؟ ولماذا دعاها إلى منزله ؟ ولماذا لا يقول إن هذا الرجل ليس هو الذي كان يعرفه ، وإنه لا شأن له معه ؟ إن تغيير حالة بطرس تضر كثيرين ولا تفيد أحداً حتى ولا بطرس نفسه ...

وتقابل مع خطيبته جيمي فلاحظت عليه التغير الشديد فقال : إن حادثاً حدث فشغله عن كل شاغل وقال : « إذا رأيتني أبكي فلا تعلقي أهمية على ذلك » ثم استدرك فقال : « إنه لا يريد إخبارها » وتظاهر بالضحك وقال : « إنه لم يجد هدية مناسبة ليقدمها في العرس ، وأن هذا هو الذي يشغل خاطره »

سكتت جيمي وسكت جورج أيضاً . وكان شارد الذهن . ثم قال : « أريد منك جميلاً هو أن تعطيني صورة بطرس التي عندك »

فوقفت جيمي وهي مندهشة وكادت تنقطع أنفاسها وقالت : « ألهذا علاقة بهدية العرس ؟ »

فقال : « أريد شيئاً شبيهاً بذلك »

قالت : « ما أعزك يا جورج ! ما أعزك ! لقد كنت أفكر في ذلك منذ عدة شهور أني سأعطيك الصورة »

ثم صمتت إلى غرفتها وأتت بالصورة وأوصته بالعناية بها . ثم وضعت يدها على كتفه وقالت : « لا أظن الآن أنك ستنتظر مكتفياً بالصداقة مدة طويلة » .

وفى اللحظة التالية كانت وحدها . وبعد لحظة كان جورج مع الطبيب ، وكان الطبيب يقول : « هل تقول إنه فقد ذاكرته تماماً ؟ »

فأجابه : « إنه لم يعرفنى »

ثم نظر الطبيب إلى الصورة وقال : « أهذه صورته ؟ » فقال : « نعم »

— وهل علم أهله ؟

— لم يعلم أحد إلى الآن غيرى وغيرك ، وقد حصلت على الصورة اليوم من جيمى دافترى

قال صديقه الطبيب : « تعنى أنك حصلت عليها من خطيبته ؟ »

فأجابه : « نعم وقد كانت خطيبة لبطرس وهى تظن أنه مات . وهذا هو السبب الوحيد الذى جعلها تقبل خطبتى »

ومضت فترة فى صمت وكلا الرجلين ينظر إلى الآخر . وقد كانت نظرة الطبيب مزيجاً من الدهشة والإعجاب ثم قال : « ولكن ما رأيك إذا نجحت العملية ؟ »

فقال جورج : « وهل تظن فى العالم هدية فى العالم أفضل من العريس الذى تحبه الفتاة ؟ »

قال الطبيب : « وإذا لم تنجح العملية ؟ » فقال جورج : « الله أعلم ! إننا لم نصل إلى تلك الغاية »

وفى هذه اللحظة دخل بطرس تقوده ليزا وسأل عن الرجل الجالس إلى جانب جورج فقال : هو الطبيب

فنظرت إليه نظرة خوف ، وكان أول ما فعله الطبيب أن عرض على بطرس صورته فى ثوبه الرسمى

سكتت ليزا إلى جانب بطرس ووقفت معه أمام الصورة وكانت هى البادئة بالكلام فقالت بلهجة الأم حين تخاطب ابنها المريض : « هذه هى صورتك يا بطرس . هل كنت ضابطاً بهذه الرتبة ؟ »

ثم بدت على وجهها علائم الزهو وهى تنظر إلى حبيبها وإلى صورته وهو ضابط . وقال بطرس : « لست أتذكر ، وهذه الصورة تصيب رأسى بالصداع »

وبدا عليه الغم فغضبت ليزا وقالت : « وما فائدة ذلك ؟ هذه سخرية بنا . إن هذه الصورة كادت تجنه فلماذا لا تتركه وشأنه ؟ » فقال : « لأنى أحاول أن أنبهه »

فوضعت المرأة ذراعها حول عنق بطرس وقال الطبيب : « إننى أريد أن أخصه فى غرفة أخرى وأن أكون معه على انفراد »

فضربت النجرية برجلها الأرض وقالت مخاطبة جورج : « هل تريد أن تترك ليزا ؟ »

قال جورج برفق : « إننا لا نريد أن نأخذه وقد وعدتك بذلك »

نظرت المرأة إليه نظرة ألم وقالت : « هل تقسم على ذلك ؟ » فلما قال إنه صادق فى وعده قالت : إنها ترى أموراً غريبة وأنها لا تفهم شيئاً مما تراه

قال لها الطبيب : « كيف وجدته ؟ » فقالت النجرية : « وجدته ضالاً فى المجاهل التى فيها خيام قبيلتنا ، وهو لا يعى شيئاً فأخذته وعنيت به وعلمته ألعاب النجر ، ونحن سعيدان معاً . وهو لا يتذكر أى شىء فى عهد مضى على مقابلتى إياه »

وقال جورج : « إن هذا طبيب من أكبر

الأطباء باليزا ، وهو يعتقد أن إجراء عملية جراحية له يشفيه من مرضه ، ويعيد إليه ذاكرته .

فقالت الفجرية : «وبذلك يعرف أنه كان ضابطاً»

وقال جورج : « نعم ويتذكر حياته الماضية كلها . وبطرسك هذا باليزا هو السير بطرس سفوندون الذى كنا نحسبه مات فى الحرب »

ثم عرض عليها صورة فتاة وقال : « وقد كان مخطوباً إلى هذه السيدة » . فقالت الفجرية : « إنه لا ينظر إلى أى إنسان إذا رأى صاحبة هذه الصورة »

قال جورج : وهى تحبه جداً باليزا ، وهو أيضاً يحبها ، ولا أعرف أن فى العالم اثنين يحب أحدهما الآخر مثلها ومثله . وهذه الفتاة مخطوبة لى الآن »

فقالت ليزا : « وإذا شفى بطرس فإنها تتركك »

قال بطرس : « نعم هذه هى الحقيقة كما يظهر لى الآن » .

ثم ضحكت الفجرية ضحكة أدل على الحزن من الدموع وقالت : « والعمل الذى تريده الآن يجعلنى ويجعلك من أتعس الناس »

فقالت جورج : « نعم باليزا وإنما أقول ذلك لتعلمى أن التضحية ليست من جانبك فقط بل أنا مشترك معك فيها . والطبيب يريد أن يبقى بطرس هنا هذه الليلة ليجرى له العملية غداً فانتظرى معه إذا شئت »

نظرت ليزا إلى صورة جيمى وقالت : « وفى غد تأخذه هذه الفتاة . لماذا قابلتنا ولماذا تريد أن تأخذه منى ؟ إنه سعيد ، وإننى سعيدة . لقد قلت لك إنه سعيد معى .

وقد بكت الفجرية كما يبكى الطفل وقال جورج يراقبها وهو معارق فقالت : « إننى لا أريد شفقتك ولكننى أريد رَجُلى »

ولما رأته يتأمل فى صورة الفتاة قالت « تذكر الخسارة التى تخسرها بسبب هذه الشفقة . وإنى طالما كنت أفكر من زمن طويل فى أن بطرس ليس بالرجل الذى أصلح له ، ولكننى ألفته وألفنى »

قال جورج : «وهل أنت حسنة الحظ باليزا ؟»

فقالت : « لقد كنت سعيدة ولكننى أخذت نصيبى من السعادة عاماً »

قال : « ما الذى تفعلين الآن ؟ » . فقالت : « ليس هذا شأنك ولكنه شأنى » . ثم خرجت مندفعة من الباب

وقال الطبيب بعد أن فحص بطرس إنه يعتقد أن العملية ستنجح تمام النجاح ، وأنه سيجريها فى صباح الغد ، وأرسل الخدم فأعادوا ليزا ، وطلب إليها الانتظار مع المريض ، وأن تجعله ينام ؛ فبقيت وهى تنظر إلى المريض نظرة الإنسان إلى أعز ما عليه

* * *

ونجحت العملية بمعاونة ليزا . وفى الصباح التالى وجد جورج ورقة كتب عليها : « لا تبحثوا عنى — ليزا »

فلم يكن فى وسعه أن يفعل أى شىء لأنه لا يعرف عنوانها . ولو كان يعرفه لكتب إليها أن بطرس قد استرد ذاكرته ، ولكن عهداً واحداً قد اختفى من ذهنه تمام الاختفاء ؛ فهو لا يعرف أى شىء عن الأعوام الثلاثة الأخيرة . وكان من أوائل الأسئلة التى ألقاها كيف تسير الحرب الآن ؟ ونسى ليزا وعهدها !

في هذه الأثناء استبطأت جيمي صاحبها جورج فجاءت لزورة في منزله . ولكن لما وقع نظرها على القائم في السرير اصفر وجهها وتحركت شفتاها وصارت يداها تنقبضان وتنبسطان . وصاحت : « لقد جننت ! لقد جننت ! إنني لا أصدق نظري فهل هذا هو بطرس يا جورج ؟ »

وسمعها بطرس فالتفت ورآها وقال : « أأنت جيمي ! تعالي يا عزيزتي »

فصاحت صيحة فرح ، وجثت على ركبتيها عند سريره . فأغلق جورج الباب وخرج من الغرفة . فجاش وخواطره سابحة في العالم المجهول . فلم ينبهه إلا مجيء ليزا . وقالت : « لقد رأيتها وهي تأتي »

قال جورج : « لقد استرجع ذاكرته يا ليزا ، ولكنه نسي الثلاثة الأعوام الأخيرة »

قالت وشفتاها ترتعشان : « هل نسيني ؟ »

فقال : « نعم يا ليزا ، ونسي ألعاب النجر ، ونسي كل شيء في هذا العهد . وهو يظن أنه لا يزال في الحرب »

قالت ليزا : « وهل هي معه الآن ؟ » . فقال : « نعم هي معه »

قالت : « الأفضل أن أذهب فلا أريد أن أراه معها ، إن ذلك يكسر قلبي ، لقد أخذت نصيبي منه عاماً ودعته بالأمس »

ثم ذهبت فراقبها من النافذة فرآها تقف كلما خطت خطوتين وتلتفت إلى المنزل

قالت جيمي لجورج : « أهذه هي هديتك ؟ »

فأجابها وهو يبتسم وعيناه مغرورقتان بالدموع : « نعم فهل أعجبتها ؟ »

قالت : « لست أفهم ماذا حدث ولا أعرف إلا أن بطرس قد عاد »

فقال جورج : « هذا يكفي ! أليس يكفي يا عزيزتي ؟ » ثم أمسك بيدها اليسرى وأخرج خاتم الخطبة الذي كان قد أهداه إليها وهو يقول : « لا تضعي الخاتم في هذا الأصبع ولكن احتفظي به لديك تذكاراً لي »

وهنا سمعت صوت بطرس فقالت : « ادخل فكلمه فهو ينادي » . فقال : « كلا يا عزيزتي فهو لا يريدني وسأخرج الآن من المنزل »

ثم خرج من منزله فلم يكن الجبان في حاجة إليه ولا إلى ليزا

ولكن كلاً أخذ نصيبه من السعادة عاماً كما قالت النجرية .

عبد اللطيف النشار

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشاً